١٥٧

أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون أو أراكم بخير فلا
تزيلوه عنكم بما أنتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا يوم محيط مهلك من
قوله وأحيط بثمره وأصله من إحاطة العدو فإن قلت وصف
العذاب بالإحاطة أبلغ أم وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم لأن
اليوم زمان يشتمل على الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع
للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه فإن قلت النهي عن
النقصان أمر بالإيفاء فما فائدة قوله أوفوا قلت نهوا أولا عن عين
القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لأن في التصريح
بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو
حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء
به مقيدا بالقسط أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير
زيادة ولا نقصان أمرا بما هو الواجب لأن ما جاوز العدل فضل
وأمر مندوب إليه وفيه توقيف على أن الموفي عليه أن ينوي بالوفاء
القسط لأن الإيفاء وجه حسنه أنه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد
البخس الهضم والنقص يقال للمكس البخس قال
وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا يأخذون
من كل شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة أو كانوا يمكسون الناس
أو كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك
والعثي في الأرض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن
يجعل التطفيف والبخس عيثا منهم في الأرض بقيت الله ما يبقى

قال الواحدي في الوسيط في سورة البقرة قال الله وأحيط بثمره أي أصابه ما أهلكه وأفسده

السماسرة جمع سمسار والتاء فيه لمعنى الجمع

مشروط

لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم إن كنتم مؤمنين
إن تؤمنوا فإن قلت بقية الله خير للكفرة لأنهم يسلمون معها من
تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الإيمان قلت لظهور فائدتها مع
الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع
فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للإيمان
وتنبيه على جلالة شأنه ويجوز أن يراد إن كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم
وأنصح به إياكم ويجوز أن يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير
لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك وإضافة البقية إلى الله
من حيث إنها رزقه الذي يجوز أن يضاف إليه وأما الحرام فلا يضاف
إلى الله ولا يسمى رزقا وإذا أريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله
وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي
والقبائح وما أنا عليكم بحفيظ وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم
وأجازيكم عليها وإنما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد
أعذرت حين أنذرت كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه
إذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم أصلواتك تأمرك
السخرية والهزء والصلوة وإن جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز كما
كانت ناهية في قوله إن الصلوة تنهى عن الفحش والمنكر وأن يقال إن الصلاة
تأمر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو إليه وتبعث عليه إلا أنهم ساقوا الكلام
مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وأرادوا
أن هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان باطل لا وجه لصحته وأن مثله
لا يدعوك إليه داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق إلا أن يأمرك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)